



ISSN : 2335-1071

فصل الخطاب



ISSN: 2335-1071

مختبر الخطاب المحامى
أحواله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون - تيارت

العدد الرابع عشر

*Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret*

فصل الخطاب

ملف العدد:

- كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي
- المصطلح البلاغي واقع التوظيف وأبعاد التعليم
- رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية
- استراتيجية القراءة ورؤى التحول في الكتابة الروائية المعاصرة
- جمالية اللغة في الحوار القرآني

جوان 2016

جوان

2016

Jun

Revue n°14

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Juin 2016

العدد 14

المجلد الرابع

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث
العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

Faslo El-Khitab

*Revue périodique a vocation scientifique, traitant
des domaines de la critique littéraire, la linguistique
et la rhétorique en langues arabe et étranger*

Revue N 14

Volume 04

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أسوله ومرجسياته وأفاقه في الجزائر
تسنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد الرابع عشر

جوان 2016

ردمك ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون - تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زمرورة - تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغيتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدى المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.
2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.
3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .
4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط (Traditional Arabic) قياس 14 في المتن و 11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط Times New Roman قياس 12 في المتن و 10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسييات والأشكال فتكون صوراً IMAGE .
5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحفظ المجلة بحقوقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .
6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .
7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصنيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربيل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون - تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير: أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود احمد	د. غانم حنجار
د. درويش أحمد	د. بوعرارة محمد
د. كبريت علي	د. قوتال فضيلة
د. كراش بخولة	د. مكينة جواد
أ. تركي محمد	د. عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد - جامعة تيارت	أ.د. فيدوح عبد القادر - البحرين
أ.د. مرتاض عبد الجليل - جامعة تلمسان	أ.د. خلف الجردات - المملكة الأردنية
أ.د. العشي عبد الله - جامعة باتنة	أ.د. بوحسن أحمد - المغرب
أ.د. حسن نعمي - المملكة العربية السعودية	أ.د. عباس محمد - جامعة تلمسان
أ.د. بشير بويجرة محمد - جامعة وهران	أ.د. آمنة بلعلي - جامعة تيزي وزو
أ.د. توفيق بن عامر - تونس	أ.د. سطمبول الناصر - جامعة وهران
أ.د. حسن البنداري - عين شمس - القاهرة	أ.د. خميسي حميدي - جامعة الجزائر
أ.د. دراوش مصطفى - جامعة تيزي وزو	أ.د. كوارى مبروك - جامعة بشار

الفهرس

05.....	كلمة رئيس التحرير.....
07.....	كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي (عبد الكريم ابزاري).....
27.....	المصطلح البلاغي واقع التوظيف، وأبعاد التعليم (عدة قادة).....
43.....	تعليمية النحو العربي وفق مستويات التحليل اللساني (أحمد بن عجمية).....
	رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية،
55.....	هل هي حاجة فنية أم حاجة اجتماعية؟ (أحمد قليبية).....
67.....	جمالية اللغة في الحوار القرآني "التقديم والتأخير" (بكوش جميلة).....
79.....	أسلوب التشخيص في الشعر الجزائري الحديث (خميس رضا).....
89.....	من إيديولوجيا الروائي إلى إيديولوجيا النص الروائي (سليمان بلحسين).....
101.....	الرواية والشعرية، المفهوم والمصطلح (عبد دو راج).....
	معيّار الوحدة في القصيدة العربية القديمة،
117.....	نظرات في المسوغات النقدية (غانم حنّجار).....
	السمات الأسلوبية في شعر رمضان حمود،
127.....	وأثرها في بيان تعزيز الانتماء العربي (قاسم قادة).....
135.....	التوثيق النظري للأدب الإسلامي (مجاهد التامي).....
143.....	استراتيجية القراءة ورؤى التحوّل في الكتابة الروائية المعاصرة (سنوسي مها جميلة).....
155.....	لسانيات النص بين الطرح العربي والتنظير الغربي (يعقوب الزهرة).....
177.....	القراءة المستوياتية عند "عبد الملك مرتاض" (شرفاوي أمال).....
191.....	سيمائية التكثيف السردية في القصة القصيرة جدا (قوتال فضيلة).....
201.....	المعنى بين التوحد والتعدد والتبدد (مسعود كلالي).....

كلمة رئيس التحرير
بسم الله الرحمن الرحيم

أما قبل:....

في عددها الرابع عشر تصدر مجلة فصل الخطاب وهي تجابه معوقات عدة، ما إن تتخطى واحدة حتى تتبدى آخر متوالدة، متناسلة ومتكاثرة، وكأنها لا تريد أن تنتهي. ولكن بفضل عزيمة طاقمها الخفي، وجهود رجالها الذين يأبون إلا أن يتواروا في الظل، لأنهم يفضلون الخفاء على الجلاء، والضمور على الظهور، فبفضل هؤلاء ها هي أعداد مجلة فصل الخطاب تتوالى في حلة قشبية.

حاولنا أن نصف مقالات هذا العدد - على كثرة ما يصلنا منها بعد القراءة والتحكيم السري - وفق منظور ما هو متداول، من المفاهيم النقدية التي صارت متداولة وبسطت نفوذها، أثبتت وجودها، وفرضت نفسها على الحقلين الأدبي والنقدي، ثم باقي الحقول التي تتقاطع معها، كما ظلت هذه المفاهيم في حراك وتحول، الأمر الذي أدى إلى تنوعها، وكانت الثورة المعرفية بظهور اللسانيات وما تلا ذلك من تطورات منهجية ونقدية، امتدت لتشمل حقولا أخرى تبدو بعيدة عن حقول اللغة في المفهوم التقليدي لعلوم اللسانيات، كعلم النفس والاجتماع والنقد الأدبي، وغيرها من العلوم والمعارف المعاصرة. وبذلك جعلت من تحليل الخطاب عمدة أساسية لفهم وتحليل ومناقشة النصوص والقضايا والأفكار المطروحة، وفق ما تمليه حدود وميكانيزمات التلقي والتأويل، والتفكيك والتركيب، وكذا آفاق الحوار والتواصل.

وقد تطور اهتمام النقد المعرفي بموضوع التواصل عموماً، واللغة الإنسانية تحديداً. والحجاج تخصيصاً. وتأتي اللسانيات، هذا العلم المستجد، في طليعة العلوم التي نزعت إلى تحديد معاصرو علمي لمفهوم اللغة من خلال دراستها "بذاتها ولذاتها" وبغض النظر عن أية علوم أخرى؛ وسعت لاستجلاء مختلف وظائفها في تشجيع الفهم المتبادل ونقل التجارب الإنسانية والتعبير عن الفكر، أيًا ما كان هذا الفكر.

لذلك تسعى مجلة فصل الخطاب جاهدة إلى أن تقارب - من خلال مقالات السادة الباحثين - هذا الاضطراب المفهومي في الفكر العربي المعاصر. كما تسعى إلى أن الوعي بهذا الأشكال هو الأساس عملية فكرية أكثر مما هي مسألة تتعلق بمعرفة حدود المفهوم نفسه. بمعنى آخر يرجع هذا الاضطراب إلى أنه مسألة (أكاديمية) بحثة تتعلق بمعرفة بيانات المفهوم ومحدداته بقدر ما يرتد إلى عملية فكرية معقدة، ومشروطة بالضرورة تاريخياً ومعرفياً. أي بمن تنتج هذه المعرفة التي تأطرت في غياب وعينا ذاته، ثم بطبيعة المفهوم نفسه، وكما يحدد محمد مفتاح في كتابه: تحليل الخطاب الشعري، أبعاد العملية التواصلية في شقيها التواصلية ثم التفاعلية:

أما التواصل فيهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجاربه إلى المتلقي، وأما التفاعلي فيدعم مقولة أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للخطاب اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليه.

تسمح مقارنة الفكر العربي المعاصر لهذه الإشكالية بالتمييز بين جانبين أساسيين في عملية المثاقفة في استقبال الآخر، وعملية استيعابه، لتستحيل المقاربة إما إلى التوفيق أو التلفيق. فالتوفيق مذهب يقوم على المفاعلة والتفاعل، لا يجمع من الأفكار والآراء والمفاهيم إلا ما كانت وحدته مبنية على أساس معقول، أي حضور الذات في الموضوع، في حين يقوم مفهوم التلفيق على جمع ما لا يجتمع، بنوع من القسر ما بين معاني وآراء مختلفة في مذهب يبدو ظاهريا كأنه واحد، في حين تظهر للمفقه متفقة، بسبب عدم الكشف عن التناقض المندس في بنيتها، لذلك شتان بين التوفيق والتلفيق.

وها هي مجلة فصل الخطاب لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي تستقطب الكتابات ذات القيمة المعرفية سواء داخل الوطن أو خارجه إيمانا منا ووفاء لخطها المرسوم، لأنها تؤمن بأنه ليس ثمة حدود للمعرفة، وبأن الهم واحد وإن تعددت أقطارنا، مع الوفاء بأن نهج المجلة لا يتزاح عن تصور الحجاج في أبعاده المعرفية والتداولية والإجرائية، على أنه ليس ثمة فصل في المعرفة فري بنى متداخلة، يلزمنا أحيانا فقط الإجراء المنهجي قسرا في الفصل بين تخوم المعرفة التي غدت الجدود بينها رجراجة.

وهو ما سيلاحظه قارئ هذا العدد أو غيره من الأعداد السالفة من حضور للخطاب الأدبي بمختلف التوجهات والدراسات النقدية التي تبنته سواء إبداعا أو تنظيرا كما هي الحال في رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية، و الرواية والشعرية، المفهوم والمصطلح، معيار الوحدة في القصيدة العربية القديمة، التوثيق النظري للأدب الإسلامي، والسمات الأسلوبية في شعر رمضان حمود، ومشهدية التصوير في شعر المقاومة الفلسطيني، والقراءة المستوياتية عند "عبد الملك مرتاض"، كما إن الخطاب الحجاجي لم يكن غائبا - كالعادة - وقد تمثل في كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي، كل ذلك دون إهمال منا للشق البلاغي خاصة الذي حضر في مقالات متنوعة وهي: المصطلح البلاغي واقع التوظيف، وأبعاد التعليم، وجمالية اللغة في الحوار القرآني وأخيرا مقال لسانيات النص بين الطرح العربي والتنظير الغربي.

نأمل أن تصلنا جهود أخرى في دراسات أخرى تثرى حياتنا المعرفية. ونحن هنا ندعو المشتغلين بمختلف الحقول المعرفية التي تصب في حقل الدراسات النقدية إلى أن مجلة فصل الخطاب ستكون فضاء مفتوحا لهم حيثما كانوا ودونما إقصاء.

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

والله نسأل أن نكون مثما يريدنا أن نكون

المصطلح البلاغي واقعه التوظيف، وأبعاد التعليم

الدكتور: عدة قادة

جامعة ابن خلدون – تيارت

حينما اختصر درس البلاغة في معرفة مصطلحاتها، وما لها من التفرعات والأقسام تقلصت فعاليتها فلم يعد وسيلة للفهم، ولا أداة للتذوق الفني، ولا سبيلا للإنشاء الأدبي، وإذا كنا نسعى (أساتذة وباحثون) لاسترجاع هذه الفعالية المفقودة فليس أمامنا من سبيل سوى أن نبعث روح الوظيفية في هذه المصطلحات من جديد كما فعل الأسلاف، وأن ندرك عن كثب ما تنطوي عليه من أبعاد تعليمية.

The Rhetorical Term, the reality of Employment and Dimensions of Education

Abstract

When the rhetoric lesson is reduced to the knowledge of the terminology, the branches and the classes it possesses; this reduces its effectiveness and is no longer a means of understanding, or a tool of aesthetic taste; or a literary creative means. And if we seek (professors and researchers) to restore this lost efficiency, we have no other means but to resurrect again the functional spirit in this terminology as our ancestors did and we have to see closely the educational perspectives that it contains.

تمهيد: يعتبر علم البلاغة من أهم علوم العربية لما يؤديه من دور في فهم الكلام والوقوف على مقاصده وأغراضه، وقد برزت أهميته البالغة في فهم كتاب الله، واستنباط الأحكام الشرعية منه، إذ يتوقف الفهم الصحيح، والتأويل الصائب، وإدراك سر الإعجاز على معرفة قضايا هذا العلم، والانطلاق منها لضبط الدلالة، فعلى أساس من إدراك الحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والتقييد والإطلاق ندرك المعنى المراد، وقد تنبه الزمخشري إلى هذه الحقيقة حينما رأى أنه لا يتصدى لفهم القرآن وتفسيره إلا " رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني والبيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقيير عنهما أزمئة، وبعثته على تتبع مظاهرها معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله"¹.

تاريخ تسليم البحث: 18 جانفي 2016.

تاريخ قبول البحث: 12 ماي 2016.

المصطلح البلاغي، واقع التوظيف، وأبعاد التعليم..... مجلة فصل الخطاب

وقد ذكر العلوي في تعريفه الثالث للبلاغة بما يوحى بذلك حينما قال عنها أنها: "العلم الذي يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز، لأنّ الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنّه لا سبيل إلى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة إلا بإدراك هذا العلم وإحكام أساسه" ².

ليس هذا فحسب فعلم البلاغة وسيلة ضرورية وأساسية أيضا في فهم الخطاب الأدبي ونقده وتقييمه والحكم عليه إذ الظواهر الفنية والجمالية في حقيقة أمرها ظواهر بلاغية أغلبها، وناقدا الأدب ومتذوقه لابد له من معرفة بلاغية مكينة تكسبه القدرة على أداء دوره النقدي والتذوقي.

والمعرفة البلاغية تتشكل وفق منظومة من المصطلحات البلاغية ظهرت عبر مراحل نشأة الدرس البلاغي، وتبلورت أثناء مسيرة تطوره، وهي المعوّل عليها في معرفة قضايا هذا العلم ومباحثه المختلفة، لكن هذه المصطلحات على أهميتها تثير كثيرا من الإشكالات يتعلق بعضها بواقع توظيفها، ويتعلق بعضها الآخر بأبعادها التعليمية.

المصطلح البلاغي الأهمية والإشكال

المصطلح في أجلى تعريفاته " اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول" ³ أي أنّه نقل لدلالة اللفظ من معناه اللّغوي إلى معنى جديد مع مراعاة المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول إليه، وهو أيضا " ألفاظ مخصوصة يراد بها معان معينة لا تتجاوزها، والمصطلح حاجة علمية ضرورية فعندما يتعين المسمى -سواء كان فكرة أو موضوعا خارجيا - يتحتم وضع اسم له يعرف به" ⁴، والمصطلحات هي مفاتيح العلوم، وهي الحقائق الكبرى التي تحدد قضاياها، وتضبط مفاهيمها، وتضع الحدود الفاصلة بينها.

وعلم البلاغة إذا ما قورن بغيره من علوم العربية الأخرى فإنه يزخر بوفرة اصطلاحية منقطعة النظير، فإذا كان علم النحو وهو أول علم ينشأ من علوم العربية قاربت مصطلحاته سبع مائة مصطلح، فإنّ علم البلاغة تزيد مصطلحاته عن الألف مصطلح سواء أكانت مفردة أم مركبة، وهي متوزعة على علومها الثلاثة ومقدمتها في مفهوم البلاغة والفصاحة، وخاتمتها المتعلقة بالسرققات الشعرية وحسن الابتداء والتخلص ⁵.

إنّ وفرة المصطلح البلاغي ظاهرة تبعث على التساؤل عن الأسباب التي دعت إلى ذلك، وقد عدد الدارسون جملة من الأسباب، لعل أهمها جعل أقسام النوع الواحد مصطلحات مستقلة، بتفريع الأصول الكبرى إلى " فروع لا تنتهي من الصفات والألقاب والأنواع والأقسام، منها ما يستند إلى مسوغات تدعمها شواهد النصوص، ومنها ما جاء خاضعا ومستجيبا للقسمة

العقلية التي قد لا يكون لها تحقق في واقع النصوص التي تعد منطلق الاشتغال البلاغي وغايته بالقصد الأول والهدف الأساس⁶.

ومن أمثلة تفرع الأصول جعل أقسام الخبر (الابتدائي - الطلبي - الإنكاري) مصطلحات مستقلة وجعل الأغراض البلاغية للنوع البلاغي الواحد مصطلحات مستقلة، فأغراض الخبر والإنشاء والتشبيه والاستعارة والتقديم والتأخير وغيرها من أغراض الأشكال البلاغية كلها تشكل زخما من المصطلحات المستقلة، إضافة إلى جعل العلاقات مصطلحات مستقلة فعلاقات المجاز المرسل عند بعض البلاغيين اثنين وثلاثين علاقة.

ومن الأسباب أيضا ذكر المصطلح البلاغي الواحد بصيغ مختلفة ومن أمثلة ذلك تسمية رد أعجاز الكلام بردّ الأعجاز على الصدور تارة، ورد العجز على الصدر، والتصدير، ورد أعجاز الكلام على ما تقدّمها، ورد الكلام على صدره، يضاف إلى ذلك ذكر النوع الواحد بمصطلحات مختلفة كتسمية براعة الاستهلال حسن الابتداء أو براعة المطع، ومنها أيضا التنافس في اختراع مزيد من المصطلحات، والحرص على كثرة التقسيم والتفريع فقد وصل السيوطي في كتابه (جنى الجناس) إلى ذكر أربع مائة قسم له وهو في الأصل قسمان أساسيان تام، وغير تام⁷.

والحقيقة في تصورنا أنّ وفرة المصطلح وكثرته قد تعود إلى عاملين مهمّين لكّتهما على طرفي نقيض، أمّا أولهما فهو حرص أعلام البلاغة على وضع المصطلح الدقيق والمناسب للظاهرة البلاغية، وهو سبب وجيه لأنّ إدراك بلاغة الكلام مختلفة بحسب الأذواق، وذلك ما يدفع العالم إلى ابتداء مصطلح يتلاءم مع قراءته لموطن البلاغة والجمال فيما قرأ، والسبب الثاني في اعتقادنا هو الرغبة الجامحة في الإحاطة بجميع ما يكتنف الظاهرة البلاغية من أجل بيان كل المواطن والمقامات التي توظف فيها بأشكال متفاوتة، ومختلفة أحيانا وهذا الاستقصاء يؤدي إلى مزيد من الاصطلاحات، ولذلك يلجأ المحلل البلاغي إلى كثير من التقسيمات والغرض من ذلك حصر الظاهرة بكل تجلياتها الفنية، وباعتبارات مختلفة، وأمثلة ذلك بلا حصر وتكاد تصدق على كلّ الظواهر البلاغية، فتقسيم التشبيه أو الاستعارة أو الكناية يتم باعتبارات كثيرة، وكل اعتبار يعطينا درجات متفاوتة من البلاغة ومختلفة⁸.

والإشكال لا يكمن في وفرة المصطلح أو قلّته في هذا الباب أو ذاك، وإنما يكمن في كيفية تعاملنا مع هذه " الذخيرة المتنوعة من المفاهيم والمصطلحات، وأغلبها يقع فيه التباين، ويرد عليه الاشتراك والتداخل، ولا يجمعها افتراضا إلا مصطلح البلاغة العربية "⁹، والمهم في هذا الشأن أن نتساءل: كيف نعرض للقارئ والمتعلم هذه المصطلحات؟ وكيف نقدمها له تقديمًا يضمن لها الوجود والاستمرارية والفعالية.

المصطلح البلاغي، واقع التوظيف، وأبعاد التعليم..... بحلة فصل الخطاب

إنّ مثل هذا التساؤل يفضي بنا إلى البحث في وظيفة المصطلح قبل البحث في صوره وأشكاله، ولعل الذي يقودنا إلى هذه الوظيفة المفقودة أن نعاود الرجوع إلى منابع هذه المصطلحات فيما كتب مؤسسو البلاغة وأعلامها الذين قادهم البحث الحثيث في النصوص عن مكان الجمال والفن للتنبيه إليها بما يليق من المصطلحات، وبكلمة مختصرة علينا أن نبحت عن وظيفة المصطلح في منابته وأصوله، ونعرف خصوصيات هذا التوظيف لنعيد بناء الدرس البلاغي بما يضمن له أن يكون وسيلة في أيدي القراء والمتعلمين إلى الفهم والتذوق والتحليل، والسبب في ذلك أنّ البلاغة نشأت وسيلة قبل أن تنشأ قاعدة وقانونا.

وظيفة المصطلح في التراث البلاغي العربي

الوظيفية في أبسط معانيها تعني كون الفعل المنجز الموصوف بهذا الوصف فعلا هادفا لا يكتفي بتقديم الجوانب النظرية لمعرفة الشيء، وإنما يتعدى ذلك إلى تحويل المعرفة النظرية إلى وسيلة في يد مستعملها لكشف خبايا الظواهر المدروسة، ولذلك فالدراسة الوظيفية هي دراسة عملية وفعّالة ترتقي بالفكر من مستواه النظري إلى مستواه التطبيقي، وبالتحليل من اكتساب المعارف إلى استثمارها.

وفي التراث البلاغي مظاهر كثيرة لوظيفية المصطلح البلاغي، بل يمكننا القول أنّ مراحل نشأة الدرس البلاغي ونموه ونضجه كانت الدراسات البلاغية فيها التي امتزجت بدراسات القرآن الكريم، والدراسات الأدبية والنقدية دراسات وظيفية بامتياز، والسبب في ذلك يعود أساسا إلى أنّ بواعث التأليف في هذه المراحل لم تقتصر على الهدف التعليمي كما رأينا في آخر مراحل نشأة البلاغة العربية وهي مرحلة الشروح والملخصات مع الخطيب القزويني ومن جاء بعده.

لقد أملى الواقع الديني والأدبي على علماء اللغة جملة من الأسئلة كان عليهم الإجابة عليها حفاظا ودفاعا عن عقيدتهم من جهة، وكشفا لحقيقة إبداعهم الأدبي من جهة ثانية، ويمكننا اختصار هذه الأسئلة في سؤالين جوهرين يتعلق أولهما بالقرآن الكريم ومفاده: كيف يفهم الخطاب القرآني ويدرك إعجازه؟ وفي فلك هذا السؤال دارت معظم المؤلفات الدينية من دراسات تفسيرية سعت إلى فهم القرآن الكريم، ودراسات فقهية حاولت استنباط الأحكام الشرعية منه، ودراسات إعجازية رمت إلى بيان سر إعجازه، ويتعلق ثانيهما بالخطاب الأدبي بحثا عن المعايير التي تحقق للأدب أدبيته، وتكون أداة للحكم عليه بالجودة أو الرداءة، وبفعل هذا السؤال ظهرت إلى الوجود معظم المؤلفات الأدبية والنقدية في تراثنا العربي.

هكذا نشأت البلاغة العربية ونمت في ظل الخطاب القرآني، والخطاب الأدبي، نشأة وظيفية تجيب عن الإشكالات المطروحة في واقع الأمة الدينية والأدبي، ويسعى أعلامها جاهدين

إلى بيان الظواهر البلاغية، وكشف حقيقتها، وإدراك أسرار الجمال فيها كل ذلك في إطار جهاز اصطلاحي لم يكن هو الغاية في حد ذاته بقدر ما كان وسيلة إلى تحقيق هذه الأهداف. ومن سمات وظيفية المصطلح البلاغي في الدراسات القرآنية، والدراسات الأدبية والنقدية على حد سواء بيان حقيقة كثير من المصطلحات البلاغية لكن دون حشد للحدود والتعريفات والأقسام، وإنما بكشف جوهرها عن طريق تتبع عملها في ثنايا النصوص، وبيان أثرها في المعاني وتحقيق الأغراض المقصودة، وبتحليل كثير من النصوص التي تتضمنها، للوقوف على مجالات توظيفها واستخدامها، وذلك يعني أنَّ الأهمية لا تولى لهذا المصطلح أو ذاك إلا في حدود أشكال توظيفه، وصور استخدامه مما يسعف الدارس على بيان سماته، وكشف خصائصه.

ومن صور وظيفية المصطلح البلاغي ما نقف عليه في كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (207هـ) حيث يبدو للمطلع عليه التركيز على بيان مصطلح "المجاز" الذي يعني عنده "الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة "المجاز" فيما بعد"¹⁰، وقد كانت وسيلته إلى ذلك متابعة ما في القرآن الكريم من صوره المختلفة، وأشكاله المتنوعة بضرب الأمثلة عنها، ودعمها بكثير من الشواهد من كلام العرب شعره ونثره، والهدف من ذلك بيان أنَّ في القرآن ما تجاوز معناه الوضعي جريا على سنن العرب في خطابها.

وكان أبو عبيدة وهو يسعى للوصول إلى مجاز الآية القرآنية قاصدا به معناها وما يفهم منها يختار الآيات التي تصوّر طرقا مختلفة في الصياغة والدلالة، متمثلا بما يشبهها من أشعار العرب وأساليبهم، وشارحا لما تتضمنه من لفظ غريب، وأداه هذا الاختيار إلى أن يتحدث عمّا في الآيات من استعارة، وتشبيه، وكناية، وتقديم، وتأخير، وحذف، وتكرار، وإضمار"¹¹.

وقد استعان هو الآخر بهذه المباحث لإدراك المعنى القرآني المراد بيانه، ومن ذلك قوله: "ومجاز" إِيَّاكَ نَعْبُدُ "¹² إذ بدئ بكناية المفعول قبل الفعل جاز الكلام، فإن بدأت بالفعل لم يجز، كقولك: نعبد إياك، قال العجاج:

إِيَّاكَ أَدْعُو فَتَقَبَّلْ مَلَقِي

ولو بدأت بالفعل لم يجز كقولك: أدعو إِيَّاكَ، فإن زدت الكناية في آخر الفعل جاز الكلام: أدعوك إياك "¹³ فهو يلجأ لنموذج شعري للحكم على جواز تقديم الضمير الذي سمّاه كناية، وعدم جواز تأخيره بعد الفعل لأنَّ المعنى يقتضي ذلك.

ولعل ابن قتيبة كان من أوائل من تأثر في كتابه "تأويل مشكل القرآن" بأبي عبيدة في استخدام كلمة المجاز بمعناها الواسع ¹⁴، لكنّه يبدو أكثر توسُّعا في مفهومه ¹⁵ كونه سَمَى طرق

المصطلح البلاغي، واقع التوظيف، وأبعاد التعليم _____ **مجلة فصل الخطاب**

هذا المجاز، والتي يقول عنها: " وللعرب "المجازات" في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشياء كثيرة سترها في أبواب المجاز " ¹⁶.

وقد ذكر ابن قتيبة هذه الفنون ونماذجها من القرآن الكريم في باب المجاز لينبه القارئ إلى ضرورة معرفة هذه الطرق لفهم القرآن الكريم، وإلا فإن الأمر سيشكل عليه كما أشكل على الطاعنين في القرآن الكريم بسبب جهلهم لهذه الطرق أو تجاهلهم لها، ولذلك أكد على ضرورة معرفة العربية وأسرار التعبير بها لمعرفة فضل القرآن وفهمه على الجهة التي نزل لأئته في رأيه "ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب " ¹⁷.

وهكذا نتبين أن ابن قتيبة حينما يعرض للمجاز ومظاهره وطرقه في القرآن الكريم لا يعرض له ليعرف به أو يحدده أو يقسمه أقساما، فتلك ليست غايته، إنما غايته أن يعرض له ليكون وسيلة للفهم والقراءة بعامة، ولفهم القرآن بخاصة، وكأنه يذهب إلى أن سوء فهم النص القرآني يأتي من الجهل بهذه الطرق، وأن هذا الجهل قد يفضي إلى الطعن في القرآن الكريم، وهو يشير إلى ذلك بقوله: " وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، وأتبعوا " ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله " ¹⁸، بأفهام كليله، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضاوا عليه بالتناقض، والاستحالة، واللحن، وفساد النظم، والاختلاف " ¹⁹.

إنّه من خلال كتابه هذا يريد أن يقول للطاعنين والمعاندين والمكابرين، إن ما في القرآن من هذه الطرق المختلفة في التعبير - وقد سمّاها المجازات - هي وسيلة من وسائل التعبير اتخذها القرآن لبيان المعاني المقصودة، فيجب أن تتخذ وسائل للفهم، وبلوغ القصد، ويسند رأيه هذا بكونها الوسائل نفسها التي اعتمدها العرب في كلامهم، ولذلك راح يضرب الأمثلة المختلفة لها من القرآن الكريم، ويدعمها بشواهد ونظائر من كلام العرب شعره ونثره سالكا بذلك السبيل نفسها التي سلكها أبو عبيدة في مجازه.

ومما نقف عليه من وظيفية المصطلح البلاغي في الدراسات القرآنية ما نجده في واحد من أهم التفاسير، وهو تفسير "الكشاف" للزمخشري (538هـ)، حيث "استطاع أن يقدم فيه صورة رائعة لتفسير القرآن، تعينه في ذلك بصيرة نافذة تتغلغل في مسالك التنزيل، وتكشف عن خفاياه ودقائقه، كما يعينه ذوق أدبي مرهف يقيس الجمال البلاغي قياسا دقيقا، وما يطوى فيه من كمال وجلال " ²⁰.

لقد اتخذ الزمخشري من مباحث البلاغة ومصطلحاتها وسيلة للتفسير وبيان ما في القرآن الكريم من إعجاز بلاغي، وقد جاهر بضرورة التعويل على علمين مختصين بالقرآن للقيام بهذه المهمة حينما ذهب إلى أن الاضطلاع بها لا يتم إلا لرجل برع في علمي المعاني والبيان²¹، مما يدل على إدراكه التام لأهمية البلاغة ومصطلحاتها في تفسير القرآن الكريم، وكشف دلالات نصوصه وآياته.

وقد وظف الزمخشري مصطلح المجاز في مواضع كثيرة، وأشار إلى صوره المختلفة من استعارة تصريحية ومكنية، وأصلية، وتبعية، ومجردة، ومرشحة، وتمثيلية، ومن مجاز مرسل وعلاقاته مثل السببية، وإطلاق الكل وإرادة الجزء، وإطلاق الجزء وإرادة الكل، وتسمية الشيء باعتبار ما كان عليه، وتسمية الشيء بما يؤول إليه، ومن مجاز عقلي وما ينبني عليه من علاقات الإسناد، ومن كناية وتعريض وغيرها من صور البيان²²، وهو في هذا كله يحدّد المصطلح ويعرّفه، ويقسمه، لكنّه لا يوظّف هذه الحدود والتعريفات والأقسام إلا لغاية الكشف عمّا تنطوي عليه هذه المصطلحات من قيم جمالية يعلّل بها ورود التعبير القرآني بالصورة التي ورد عليها ليكون معلما من معالم الإعجاز فيه، وهو بهذا الشكل من التوظيف يقرّ أنّ المعرفة بالبلاغة وأنماطها وأساليبها لا تكشف فقط عن وجوه الإعجاز في القرآن، بل تكشف أيضا عن خفايا معانيه وخبائثها وذخائرها المكنونة²³.

فإذا انتقلنا إلى الدراسات الأدبية والنقدية فإننا نجد من أهمّ المؤلفات التي سعى أصحابها إلى استثمار المباحث البلاغية في تحليل الخطاب الأدبي ونقده كتاب "نقد الشعر" و"نقد النثر" لقدامة بن جعفر (337هـ)، والنقد "في نظره" أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة²⁴، ويريد بذلك أقسام العلم به من علم بعروضه ووزنه، وعلم بقوافيه ومقاطععه، وعلم بغريبه ولغته، وعلم بمعانيه والمقصد به.

وهو بكلامه هذا يبيّن لنا مدى إدراكه لأهمية هذه القدرة والمهارة المتمثلة في تمييز جيد الكلام من رديئه، وأنها مهارة تفترض أن نعتني بها، ونؤلف فيها مثلما يتم التأليف في بقية العلوم الأخرى التي يفتقر إليها نظم الشعر وكتابة النثر، وقد تحدّث في كتابيه عن كثير من المباحث البلاغية التي كان يرى فيها أداة للقيام بمهمة النقد مثل: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، والالتفات، والتتيميم، والغلو والمبالغة، والتشبيه الذي جعله غرضا من أغراض الشعر.

والجودة والرداءة في الشعر في نظر قدامة تتعلق بكل مكون من مكوناته، فلكل منها نعوت وعيوب، وقد ذكر في نعوت المعاني ما سمّاه "نعت التشبيه" ونبّه فيه إلى أن "أحسن

المصطلح البلاغي، واقع التوظيف، وأبعاد التعليم..... مجلة فصل الخطاب

التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد²⁵.

والمطلع على كتابه "نقد الشعر" يرى أنَّ سائر هذه النعوت والعيوب مما له علاقة بالبلاغة ومباحثها سواء في ذلك المفرد منها أو المركب مما يعني أنَّ قدامة يبني إدراكه للشعر والنثر على ما يتضمنانه من توظيف حسن لهذه المباحث كل في موضعه ومن غير إفراط، وهذا ما نلمسه في حديثه عن الإيجاز والإطالة كمقوم من مقومات النثر حيث يقول: " وأن يكون الخطيب أو المترسل عارفا بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصّر عن بلوغ الإرادة، وألا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة " ²⁶.

وبهذا نتبين أنَّ قدامة بن جعفر لم يدرس المباحث البلاغية ومصطلحاتها لذاتها، وإنما وظفها باعتبارها أساسية للفن الأدبي شعره ونثره، إذ أنَّ إدراك قيمتهما وفنيتهما يجب أن يستند إلى هذه المباحث لأنَّ توظيفها قد يكون معيارا لجودتهما أو رداءتهما، وبذلك يكون قدامة بن جعفر قد وثّق العلاقة بين الإبداع الأدبي والبلاغة، ومدَّ جسرا بينها وبين الشعر على وجه الخصوص، "حيث البلاغة مرادفة للشعرية"²⁷.

ومن المؤلفات التي عمدت إلى توظيف البلاغة ومباحثها، واستثمرتها لممارسة العمل النقدي كتابا " الموازنة بين أبي تمام والبحري " للآمدي، و"الوساطة بين المتنبي وخصومه" لعبد العزيز الجرجاني، ويمكن اعتبارهما من كتب البلاغة التطبيقية العملية، لأنهما اتخذا من البلاغة وفنونها ومباحثها معايير ومقاييس لقياس الشعر، والموازنة بين الشعراء، والحكم عليهم، وفي ثناياهما كثير من مباحث البلاغة التي وظّفها الناقدان خدمة لمنهجهما النقدي، ومن هذه المباحث: الاستعارة، والتشبيه، والتجنيس، والطباق، والتقسيم، والابتداء، والتخلص، والختام وغيرها من المباحث.

لقد حاول الآمدي والجرجاني كلاهما الإجابة عن الأسئلة التي شغلت الساحة النقدية في تلك الفترة ومنها: أيّ المذاهب أصوب وأجود في نظم الشعر، أمذهب أبي تمام بما فيه من إسراف في استعمال البديع، أم مذهب البحري بما فيه من اعتدال في استعمال ذلك؟ وهل يغطي الانتصار لمذهب أول شاعر من الشعراء على عيوبه ومثالبه؟

وقد مكنت الإجابة عن هذه الأسئلة من دراسة ثلاث مدونات شعرية دراسة نقدية فاحصة تعتمد المقارنة سبيلا للحكم الموضوعي، وتتخذ من البلاغة وسيلة إجرائية، حيث توصّل الآمدي بعد عرضه لما دار من جدل بين المذهبين اللذين مثّلهما أبو تمام والبحري إلى أنَّ

لكل شاعر محاسنه ومثالبه، ولذلك راح يقارن بين شعر الشاعرين في كثير من الموضوعات ليكشف مواطن التوفيق والجودة، ومواطن الإخفاق والرداءة لديهما.

ومما أشار إليه أخطاء الشاعرين في توظيفهما لكثير من الفنون والأساليب البلاغية كالاستعارة، والتجنيس، والمطابقة وغيرها، فهو يورد استعمالهما لهذه الفنون ثم يبين موضع الخطأ فيها، ويصوّبه أحيانا، ومن ذلك قوله عن استعارات أبي تمام: " وإنّما رأى أبو تمام أشياء بسيرة من بعيد الاستعارات في أشعار القدماء، فاحتطب واستكثر منها"²⁸.

وقد سار عبد العزيز الجرجاني على المنهج نفسه²⁹ وهو يتناول شعر أبي الطيب المتنبي ويسعى ليقف بين أنصاره وخصومه موقفا وسطا، ولكنّه لم يقصره عليه " بل إنّهُ عرض للأصول الأدبية التي عرفت في عصره، وحلّل أشعار القدماء والمحدثين، وأورد كثيرا من محاسنهم وعيوبهم، وأبان ما شاع فيها من تعقيد وغموض، وأخذ وسرقة، واستعارة حسنة أو رديئة"³⁰.

وهو بعد أن يشير إلى أنّه رأى أهل الأدب في أبي الطيب المتنبي فريقين، فريق مغرق في تقريظه لا يرى إلا مناقبه، وفريق مطنب في الإزراء عليه لا يرى إلا عثراته، وأنّ كلا الفريقين ظالم له وللأدب³¹، يشرع في بيان ذلك فيقرّ أن المتنبي له من المحاسن والمثالب ما لغيره من الشعراء، فيورد جملة من محاسن شعره وعيوبه، ومما أورده في المحاسن حسن ابتداءاته، ومن ذلك قوله³²:

أُتْرَاهَا لِكثْرَةِ الْعَشَّاقِ *** تَحَسَّبُ الدَّمْعَ خُلُقَةً فِي الْمَآقِي

فإنّه ابتداء ما سمع مثله، ومعنى انفراد باختراعه"³³.

وأورد من عيوبه الإفراط في الاستعارة، وقد أشار إلى ذلك بقوله: " وقد كان بعض أصحابنا يجاريني أبياتا أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة، وخرج عن حدّ الاستعمال والعادة فكان مما عدد منها قوله³⁴:

مَسَرَّةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرِقُهَا *** وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ

وقوله³⁵: تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ *** ملء فُؤَادِ الزَّمانِ إِحْدَاهَا

فقال: جعل للطيب والبيض واليبلب قلوبا وللزمان فؤادا، وهذه استعارة لم تجر على شبه قريب ولا بعيد، وإنما تصحّ الاستعارة على وجه من المناسبة، وطرف من الشبه والمقاربة"³⁶.

ولا شك أنّ هذه النماذج المقتضبة من هاتين المدونتين النقديتين تدلّ بوضوح على تعويل الأمدي والجرجاني على توظيف المباحث البلاغية، والاستناد إليها لإصدار الأحكام النقدية، وبيان مواطن التوفيق والإجادة، ومواطن الإخفاق والغلط لدى كلّ شاعر لأنّ مبني

المصطلح البلاغي، واقع التوظيف، وأبعاد التعليم

الشعر عليها وهو لا ينفك عنها، ولذلك كان يجب الوقوف عندها لممارسة ذلك العمل النقدي الموضوعي المبني على التحليل والتعليل.

إنّ النماذج التي أتينا على ذكرها سواء في الدراسات القرآنية أم في الدراسات الأدبية تدل بصدق على أنّنا نقف على مظهر من أهم مظاهر وظيفية المباحث البلاغية ومن ورائها المصطلحات البلاغية، وهكذا رأينا كيف كان المصطلح البلاغي وسيلة قبل أن يكون غاية، وكيف كان الاهتمام به شكلا بلاغيا ماثلا في النصوص قبل أن يصبح اهتماما بحدّه وتعريفه وأقسامه وتفرعاته، ولذلك بات لزاما على المهتمين أن يعيدوا النظر في تعليمية الدرس البلاغي، والمدخل إلى ذلك في اعتقادنا هو تجديد النظر في الأبعاد التعليمية للمصطلح البلاغي بما يحقق وظيفته المنشودة.

البعد التعليمي للمصطلح البلاغي

لعلنا نتفق لأول وهلة أنّ الدرس البلاغي بصفة عامة أصبح يقدم للمتعلمين على أنّه غاية في حدّ ذاته وليس وسيلة، فقد أصبحت المعرفة البلاغية هي أقصى ما يهدف إليه هذا الدرس، وأصبح همّ الأستاذ أن يحشو أذهان المتعلمين بكثير من المعارف والمصطلحات، ليعرفوا حدودها، وأقسامها وتفرعاتها، ويسألون عنها في الامتحان ليحسبوا ويعيدوا ما حفظوه، أو يحددوا مواطنه في الشواهد التي توضع بين أيديهم، وينتهي بهم الأمر إلى نسيان ما حفظوا استعدادا للامتحان.

ولكن هل تتلخص حقيقة الدرس البلاغي في كونه كمّا من المصطلحات الدقيقة في تعريفاتها وحدودها وأقسامها كما ورثنا ذلك من البلاغة المعيارية لدى المتأخرين من أعلامها ثم ليس بعد ذلك إلا تتبع هذه المصطلحات، وبيان مواضعها في الشواهد والنصوص؟ ما جدوى أن يحفظ متعلمونا الحدود والتعريفات والأقسام وهم لا يحسنون فهم فقرة تنطوي على قيم فنية وبلاغية، ولا يتذوقون ما فيها من الجمال، ولا يقدرّون على تركيب جملة يوظفون فيها ظاهرة من ظواهر البلاغة؟

إنّ البلاغة " علم وفن، نظرية وتطبيق، تقنية بلاغية وكلام بليغ، ومن هنا وجب التفريق بين المعرفة البلاغية من جهة، وتوظيف هذه المعرفة في إبداع الأدب ونقده من جهة"³⁷ وإلا ما قيمة الدرس البلاغي إذا كان نظرية بلا تطبيق، ومعرفة بلا أداء؟ ثمّ ما الذي يجب علينا تجاه هذا الواقع الذي يهتم بالمعرفة من خلال التركيز على المصطلحات التي لم توضع إلا لندرك ما تنطوي عليه من المفاهيم والأفكار ليتسنى لنا بعد ذلك أن نحسن استثمارها؟

إنّ إشكالية الدرس البلاغي والدرس اللغوي بعامة تكمن أساسا في أنّ هذا الدرس أصبح غاية في حدّ ذاته، والخطر كل الخطر في النظر إلى المصطلح وحدوده على " أنّه غاية لذاته

لا وسيلة يستعان بها على فهم الفنون البلاغية، ولا شك أنّ من يعتبر الحدّ غاية بذاته لا يقيم وزنا للنص الأدبي، وهو إذا ساق النصوص فلكي يدلّ بها على صحة تعريفه³⁸.

ولا يتم الخروج من هذه الإشكالية إلا بإعادة توجيه هذا الدرس ليحقق الغايات التي وضع لأجلها كل درس يمتّ للغة بصلة وهي أن يكون وسيلة في يد المتعلمين للتمكن من أداء لغتهم، والتصرف فيها وهم يستعملونها في مختلف مواقف التواصل، لأنّ علم البلاغة يجب أن يلعب دوره في " تقويم لسان مستعمل اللغة حتى تصبح طيّعة بين يديه، ويتمكن من قراءة المكتوب، أو تلقيه بالمشافهة قراءة صحيحة أو تلقيا سليما، ولا يقف عند حدود القراءة والتلقي، وإنما يتصل بناشئة المتأدبين في فنون الشعر، والنثر، فالبلاغة تزود الكاتبين والشعراء بمجموعة من القواعد تمكّنهم من تمييز الأساليب البلاغية التي تعدّ في الطبقة الرفيعة من القول الجميل البليغ"³⁹، فما السبيل التي نسلّكها ليؤدي الدرس البلاغي مثل هذه الأدوار؟.

إنّ السبيل إلى ذلك في تصورنا يبدأ من معالجة هذا الكم الهائل من المصطلحات البلاغية، ولعل السبيل إلى ذلك كما نبّه بعض أعلام البلاغة قديما تجنيس هذه المصطلحات أي وضعها ضمن أجناس كبرى كما فعل السجلماسي (730هـ) في كتابه "المنزّع البديع في تجنيس أساليب البديع" حيث صنّف موضوعات البلاغة ووزعها على عشرة أجناس عامة هي: الإيجاز، والتخييل، والإشارة، والمبالغة، والرصف، والمظاهرة، والتوضيح، والاتّساع، والإنشاء، والتكرير، وجعل تحت كل باب فنونه وموضوعاته المتجانسة، فتحت جنس الإيجاز وضع المساواة والمفاضلة، ووضع تحت جنس التخييل موضوعات التشبيه والاستعارة والمماثلة والمجاز، وتحت جنس الإشارة وضع الاقتضاب والإيهام، والتتبع والكناية والتعريض والتلويع والتنويه والتعمية والإيماء واللحن والرمز والتورية⁴⁰.

وهي الفكرة نفسها التي يدعو إليها بعض المحدثين تحت مسمى "المنهجية المحورية"، ويعنون بها " أن تنتظم فنون البلاغة الجزئية داخل أطروقات كلية تجمعها، وتوحد أمرها...إذ لا بد أن تكون هناك كليات تردّ إليها الجزئيات المتشابهة والمتقاربة التي هي فنون وأساليب يجمعها ضابط واحد أو أكثر، وذلك من أجل الاستغناء عن منهج التجزيء والتكثير والتفريع"⁴¹. ولكن هذه الخطوة غير كافية ما لم يتم دعمها بتحديد الأبعاد التعليمية العامة للدرس البلاغي بدءا بالمصطلح البلاغي ذاته لأنّه ركيزة المعرفة البلاغية، وجوهر القيم الفنية، والمدخل إليها، وتنطلق الأبعاد التعليمية للمصطلح البلاغي في تصورنا من إعادة رسم خريطة الغايات التعليمية لتدريس البلاغة العربية في كلّ المستويات، ولا تخرج هذه الغايات عن ثلاث غايات كبرى تتمثل في اتخاذ البلاغة ومصطلحاتها وسيلة للفهم، والتوسّل بها لإدراك القيم الفنية وتدوّقها، والاعتماد عليها سبيلا للإنشاء الأدبي والنقدي.

1- المصطلح البلاغي وسيلة للفهم:

هذا أول مستوى من مستويات ممارسة تلقي اللغة الفنية إذ لا يمكن لأي متعلم أن يدرك القيمة البلاغية لما يسمع أو يقرأ ما لم يتعرف على الأفكار والمعاني المتضمنة فيه، ولذلك فإن أول خطوة في إدراك القيم البلاغية هي إدراك المعاني التي يتضمنها المسموع أو المقروء، إذ "يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إلهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع" ومدار أمر البلاغة كما ذهب الجاحظ على "البيان والتبيين، والإلهام والتفهيم"⁴².

والمصطلح البلاغي في هذه المرحلة الأولية لابد أن يكون أداة من أدوات تقريب مضامين النصوص للمتعلمين، إذ يكفي أن نلفت انتباههم إلى أنّ أداء بعض المعاني لا يكتمل إلا بالنظر إلى ما وظف من فنيات تعبيرية دون أن نفصل في ذلك، أو ندقق في المصطلحات البلاغية التي تنطوي تحتها هذه الفنيات، فإذا كنا أمام ظاهرة بلاغية تركيبية، أو بيانية، أو بديعية يكفي أن ننبه إليها عن طريق الموازنة بين العبارة وهي تتضمنها تارة، ولا تتضمنها أخرى.

ويمكننا أن نبدأ في هذا المستوى من لفت انتباه المتعلمين وهم يسمعون النصوص أو يقرأونها إلى ظواهر بلاغية بسيطة، كأن نلفت انتباههم إلى استعمال كلمة دون مرادفها، أو إلى محاولة إدراك الفرق بين استعمالها في تركيبين مختلفين، أو دفعهم للتفكير في الجملة وقد ذكرت كل عناصرها، أو حذفنا بعض عناصرها كل ذلك بعيدا عن ضبط المصطلحات البلاغية أو تحديدها أو تعريفها أو بيان أقسامها وتفريعاتها لأنّ التركيز في هذه المرحلة على المصطلحات لا يؤدي إلى تنمية الإحساس بالجمال، وبذلك يكون الغاية هي التنبيه إلى الظواهر الفنية ومقارنتها بالتعبير العادي ليكتشف المتعلم أنّ تأدية المعنى يتم بأشكال مختلفة إلى أن يتبين أن الأسلوب الفني هو من أمثل الوسائل في أداء المعاني والأفكار بما يخلع عليها من الجمال.

2- المصطلح البلاغي وسيلة لإدراك القيمة الفنية:

في هذا المستوى نرتقي بالمتعلم من مجرد الالتفات إلى التعبير الفني المختلف عن التعبير العادي واستغلاله في فهم المسموع والمقروء إلى درجة استثمار المصطلح البلاغي لإدراك مواطن الجمال والفن في النصوص، ولكن هذا لا يعني كذلك أن التركيز سيكون على المصطلح في حد ذاته تعريفا وضبطا وتقسيما وإنما على ما يتضمن من قيم بلاغية وفنية، وهاهنا يظهر دور معلم البلاغة وكفاءته التدوقية؛ لأنه "إن لم يكن للمدرس إحساس متوقد بجمال النصوص يشع حرارته على فهم وذوق تلاميذه، يصبح الدرس البلاغي باردا جامدا يتوقف عند استيعاب المصطلح البلاغي، وإدارة الظاهر للنص الأدبي، وهذا من الأسف هو الموقف اليوم من الدرس البلاغي، نشكو ندرة من يحس جمال النص، ثم العزوف من الأبناء عن البلاغة"⁴³.

وفي هذه المرحلة ينبغي أن تنتقل بالمتعلم إلى غاية هامة وأساسية يحققها الدرس البلاغي وهي إكسابه آليات التدوق الفني التي تؤدي إلى " استيعاب القضايا البلاغية الرئيسة في علوم المعاني والبيان والبديع، وتعرف المفاهيم البلاغية الأساسية عبر النصوص الأدبية المشرقة، والأمثلة الحية، وتنمية الذوق الأدبي، والحس الجمالي من خلال إدراك الخصائص البلاغية للنصوص الأدبية، وإدراك أثر التراكم في جمال الأسلوب، والإلمام ببعض الصور الفنية في الأساليب الحديثة"⁴⁴ ولن يتم ذلك كله إلا بالتركيز على القيم الفنية التي تنطوي عليها المصطلحات البلاغية عن طريق تدريب المتعلمين على اكتشاف هذه القيم والتعبير عنها لأنه " لا يجوز أن نتكلم ألسنتنا في العلم بما سمعت، وقرأت من كلام العلماء فحسب، بل أيضا بما وجدت في نفسها وذائق بطبعها من فروق هي أساس كلام العلماء"⁴⁵.

3- المصطلح البلاغي وسيلة للإنشاء الأدبي والنقدي:

في هذا المستوى ندرج بالمتعلم إلى استثمار أرقى للمصطلح البلاغي، فننتقل به من مجرد توظيف المصطلح لفهم النصوص، وإدراك ما فيها من القيم البلاغية إلى توظيف المعرفة التي تتضمنها المصطلحات البلاغية لتكون وسيلة للإبداع الأدبي والنقدي، فندربه على ممارسة الإنشاء الفني، والإنشاء النقدي رويدا رويدا.

ولهذا وجب أن ندرّب المتعلمين على استثمار المصطلحات البلاغية التي "تغدو في قابل الأيام وسيلة أساسية لمن يمارسون النقد أو يعشقون الإبداع في مجالات القول المختلفة، وهذا يجعل الطالب يحس بالنجاح في أداء مهمته، وتحقيق أهدافه، وينطوي على تشويق للطالب، وتنوع لأساليب تعلمه، مما يجعل هذا التعلّم خبرة سارة له"⁴⁶، يشغف المتعلّم بتحصيلها لأنه يكتسب من خلالها مهارة تسعفه على حسن الأداء وهو يستعمل لغته.

وعودا على بدء نقول: إن العبرة ليست بكثرة المصطلح أو قلته، ولكن في مدى ملاءمته مستوى المتعلمين، إذا لا يمكن أن نرهق أذهان أبنائنا بكثير من المصطلحات وتفرعاتها وهم يقبلون على علم من العلوم، فإذا احترمنا ما كان ينبه إليه ابن خلدون من ضرورة التدرج والتسلسل⁴⁷ نكون قد استفدنا من المصطلح كما يجب أن يستفاد منه، فنقدم للمبتدئين في مرحلة المتوسط المفاهيم الأساسية بشكل عام كالتنبيه إلى مفهوم البلاغة، والحقيقة، والمجاز، والتحسين اللفظي من خلال أمثلة نماذجها ومظاهرها الجلية في النصوص التي يدرسونها، ثم نفصل في بعض أقسامها في المرحلة الثانوية مع بعض المصطلحات فنشير إلى التشبيه وبعض أنواعه الواضحة، وإلى الاستعارة والكناية، وصور من التحسين اللفظي والمعنوي، وبعض ظواهر النظم والتركيب كالتقديم والتأخير، ونعوّل في ذلك دوما على النصوص الفنية ذات القيم الجمالية الظاهرة، فإذا أقبل الطالب على الجامعة أصبح لزاما أن نستوقفه عند بعض

المصطلح البلاغي، واقع التوظيف، وأبعاد التعليم..... مجلة فصل الخطاب

قضايا علم المعاني كالحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، فإذا ما تخصص وجب أن نرتقي به إلى ما يمكن تسميته وظيفية المصطلح البلاغي والتي نعني بها الوصول بالطالب إلى إدراك القيمة الجمالية والفنية لهذه المصطلحات، وما يخلع كل مصطلح على المعنى من خلاصة وجمال على مستوى الكلمة والتركيب، ثم ندفع به إلى حسن استثمار هذه المعرفة البلاغية في إنشائه اللغوي.

لقد أشبعنا متعلمينا درس المصطلحات البلاغية وحدودها وتعريفاتها وأقسامها وتفرعاتها وشغلناهم بذلك إلى الحد الذي أفقدنا به الدرس البلاغي غايته المثلى، وفي المقابل لم نقدم لهم شيئاً مما يحسنون به توظيف هذه المصطلحات واستثمارها الاستثمار الأمثل في الفهم والإدراك، وفي التذوق الفني، وفي الإنشاء الأدبي والنقدي، وحالنا هذه كحال من يعطيك السمك لكنه يأبى أن يعلمك كيف تصطاده.

ونتصور أنه بعد تحديد الغايات والأبعاد الأساسية لدرس البلاغة في كل مرحلة من مراحل التعليم بما يضمن وظيفية هذا الدرس ومصطلحاته يصبح لزاماً علينا أن نفكر في الآليات والأدوات التي تنتقل بهذا الدرس من تلقين المعرفة إلى استثمار المعرفة، وهذه الآليات متوفرة لا محالة في كثير من مؤلفات البلاغة الوظيفية قديماً وحديثاً في تراثنا العربي، وهي متوفرة أيضاً فيما تدعو إليه كثير من الدراسات اللسانية الحديثة التي تعنى بتحليل الخطاب.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1 - الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الجواد وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ، 1998 م، ج1، ص: 96.
- 2 - العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، (د، ط)، 1332هـ، 1914م، ج1، ص: 13.
- 3 - الجرجاني، محمد الشريف، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، (د، ط)، 1985 ص: 30.
- 4 - مهدي صالح السامرائي، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1428هـ، 2008م، ص: 152.
- 5- ينظر: محمد بن علي الصامل، قضايا المصطلح البلاغي – كثرته وتعددده، اشتراكه وصياغته، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج18، ع30، 1425هـ، ص: 441.
- 6 - محمد إقبال عروي، آليات منهجية لاستثمار الدرس البلاغي في تحليل الخطاب القرآني، بحوث الندوة العلمية " بلاغة النص القرآني"، مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، بالتعاون مع شعبة الدراسات الإسلامية جامعة الحسن الثاني، المحمدية، ط1، 1435هـ- 2014م، ص: 39.
- 7- ينظر: محمد بن علي الصامل، قضايا المصطلح البلاغي، ص: 455- 465، وأحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1407هـ، 1987م، ج3، ص: 20 وج1، ص: 389.

- 8- يقسم التشبيه مثلا باعتبار نوع طرفيه (حسي، عقلي)، وباعتبار أداة التشبيه ووجه الشبه ذكرا وحذفا، وباعتبار خفائه ووضوحه، وباعتبار إفراده وتركيبه... إلخ وتقسم الاستعارة بحسب ذكر المشبه به أو حذفه، وباعتبار نوع المستعار منه، وباعتبار أفراد المستعار منه أو تركيبه... وتقسم الكناية باعتبار المعنى المكفى عنه، وباعتبار الوسائط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي أو درجة البعد بين المعنيين... إلخ
- 9 - محمد إقبال عروي، آليات منهجية لاستثمار الدرس البلاغي في تحليل الخطاب القرآني، ص: 38 .
- 10 - محمد فؤاد سزكين، مقدمة مجاز القرآن، ج 1، ص: 19 .
- 11 - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، (د، ت) ص: 29- 30 .
- 12 - سورة الفاتحة: الآية: 05 .
- 13 - أبو عبيدة، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلّق عليه محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط)، (د، ت) ج 1، ص: 24 .
- 14 - ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص: 59 .
- 15 - ينظر: بدوي طبانة، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ط: 7، 1408هـ، 1988 م، ص: 59 .
- 16 - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تفسير غريب القرآن، تحقيق، السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398 هـ، 1987 م، ص: 20 - 21 .
- 17 - المصدر نفسه، ص: 11 .
- 18 - سورة آل عمران: الآية: 07 .
- 19 - ابن قتيبة، مصدر سابق، ص: 22 .
- 20 - شوقي ضيف، مصدر سابق، ص: 219 .
- 21 - ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص: 96 .
- 22 - ينظر: محمد محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص: 645 - 647 .
- 23 - شوقي ضيف، مصدر سابق، ص: 220- 221 .
- 24 - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، ص: 61 .
- 25 - المصدر نفسه، ص: 124 .
- 26 - نفسه، ص: 96 .
- 27 - عمر أوكان، اللغة والخطاب، رؤية للتوزيع والنشر، القاهرة، 2011 م، ص: 185 .
- 28 - الأمدى، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د، ت) ج 1، ص: 143 .
- 29 - ينظر: محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت)، ص: 283 .
- 30 - محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البيجاوي، تقديم كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البيجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1427هـ، 2006م، ص: 07 .

- 31 - عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص: 12 .
- 32 - البيت مطلع قصيدة قالها في مدح أبي العشائر الحسين بن علي بن الحسين، ينظر: شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1407هـ، 1986 م، ج3، ص: 101 .
- 33 - عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص: 138 .
- 34 - اليلب: الدروع اليمانية تتخذ من الجلود، ينظر: شرح ديوان المتنبي، ج1، ص: 219 .
- 35 - البيت من قصيدة يمدح فيها عضد الدولة، ينظر: شرح ديوان المتنبي، ج4، ص: 413 .
- 36 - عبد العزيز الجرجاني، مصدر سابق، ص: 356 .
- 37 - عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، مصر، ط3، 1412هـ - 1992م، ص: 09 .
- 38 - مهدي صالح السمرائي، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، ص: 167 - 168 .
- 39 - عبد الرحمن عبد علي الهاشمي، فائزة محمد فخري العزاوي، تدريس البلاغة العربية رؤية نظرية تطبيقية محوسبة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 1426هـ، 2005م، ص: 176 .
- 40 - ينظر: السجلماسي، فهرس المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1401هـ - 1980 م، ص: 639 - 647 ..
- 41 - محمد إقبال عروي، آليات منهجية لاستثمار الدرس البلاغي في تحليل الخطاب القرآني، ص: 49 - 50 .
- 42 - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ، 1998م، ج1، ص: 11 .
- 43 - مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ت)، (د، ط)، ص: 6 .
- 44 - عبد الرحمن عبد علي الهاشمي، مرجع سابق، ص: 177 .
- 45 - محمد محمد أبو موسى، مراجعات في أصول الدرس البلاغي، مكتبة وهبة ن القاهرة، ط2، 1429هـ، 2008م، ص: 167 .
- 46 - عبد الرحمن عبد علي الهاشمي، مرجع سابق، ص: 176 .
- 47 - ينظر: ابن خلدون، مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق حجر عاصي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ط)، 1991م، ص: 331 .